

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لـما منعت من فدك

<"xml encoding="UTF-8?>



روى العلّامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج بسنده عن عبد الله بن الحسن [هو عبد الله المحضر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن طالب (عليه السلام)] بسانده عن آبائه (عليهم السلام) : انه لما أجمع [أي أحكام النية والعزم] أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكا وبلغها ذلك لاثت [أي لفته] خمارها الخمار : المقنعة ، سميت بذلك لأن الرأس يخمر بها أي يغطى] على رأسها ، واشتملت [الاشتتمال الشيء جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه] بجلبابها [الجلباب : الرداء والازار] واقبلت في لمة [أي جماعة وفي بعض النسخ في لميمة بصيغة التصغير أي في جماعة قليلة] من حفدتتها [الحفدة : الاعوان والخدم] ونساء قومها تطأ ذيولها [أي ان اثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي] ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) [الحُرْمُ : البرك ، النقص ، والعدول] حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد [أي جماعة] من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت [أي علقت] دونها ملأة [الملأة الازار] فجلست ثم أنت انة اجهش [اجهش القوم : تهيئوا] القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ، ثم امهدت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما امسكوا عادت في كلامها ، فقالت (عليها السلام) :

(الحمد لله على ما انعم ، وله الشكر على ما الهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبيوغ آلاء أسدتها ، وتمام من اولاها ، جم عن الاحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء امدها ، وتفاوت عن الادراك ابدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، واستحمد إلى الخلائق باجزالها ، وثنى بالندب إلى امثالها ، وشهاد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص بأولها ، وضمن القلوب موصلها ، وأنوار في التفكير معقولها ، الممتنع من الابصار رؤيتها ، ومن الالسن صفتة ، ومن الاوهام كيفيتها ، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها ، وانشأها بلا احتذاء امثلة امثالها كونها بقدرتة ، وذرأها بمشيتها ، من غير حاجة منه إلى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، الا تثبيتها لحكمته ، وتبنيها على طاعته ، واظهارا لقدرته ، تعبدا لبريته ، اعزازا لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، زيادة لعباده من نقمته ، وحياشة [حاش الابل : جمعها وسالقها] لهم إلى جنته ، وشهاد ان أبي محمدا عبده رسوله ، اختاره قبل ان ارسله ، وسماه قبل ان اجتباه ، واصطفاه قبل ان ابتعثه ، اذ الخلائق بالغيب مكونة ، وبستر الاهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علما من الله تعالى بما يلي الامور ، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بموقع الامور ، ابتعثه الله اتماما لامرها ، وعزيمة على امضاء حكمه ، وانفاذها لمقادير حتمه ، فرأى الامم فرقا في اديانها ، عكفا على نيرانها ، عابدة لاوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فأثار الله

بأبي محمد (صلى الله عليه وآلـه) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها [أي مبهماتها وهي المشكلات من الامور] وجلـى عن الابصار غـمـمـها [الغـمـمـ : جـمـعـ غـمـةـ وـهـيـ : المـبـهـمـ الـمـلـتـبـسـ وـفـيـ بـعـضـ النـسـخـ (عـمـاـهـ)] وـقـامـ فيـ النـاسـ بـالـهـدـاـيـةـ ، فـانـقـذـهـمـ مـنـ الغـوـاـيـةـ ، وـبـصـرـهـمـ مـنـ الـعـمـاـيـةـ ، وـهـدـاـهـمـ إـلـىـ الـدـيـنـ الـقـوـيـمـ ، وـدـعـاهـمـ إـلـىـ الـطـرـيـقـ . المستقيم .

ثم قـبـضـهـ اللـهـ الـيـهـ قـبـضـ رـأـفـةـ وـاـخـتـيـارـ ، وـرـغـبـةـ وـاـيـثـارـ ، فـمـحـمـدـ (صلى الله عليه وآلـهـ) مـنـ تـعـبـ هـذـهـ الدـارـ فـيـ رـاحـةـ ، قد حـفـ بـالـمـلـائـكـةـ الـأـبـارـ ، وـرـضـوـانـ الـرـبـ الـغـفـارـ ، وـمـجاـوـرـةـ الـمـلـكـ الـجـبـارـ ، صلى الله على أبي نـبـيـهـ ، وـأـمـيـنـهـ ، وـخـيـرـتـهـ منـ الـخـلـقـ وـصـفـيـهـ ، وـالـسـلـامـ عـلـيـهـ وـرـحـمـةـ اللـهـ وـبـرـكـاتـهـ) .

ثم التـفـتـ إـلـىـ أـهـلـ الـمـجـلـسـ وـقـالـتـ : (اـنـتـمـ عـبـادـ اللـهـ بـصـبـ اـمـرـهـ وـنـهـيـهـ ، وـحـمـلـةـ دـيـنـ وـوـحـيـهـ ، وـامـنـاءـ اللـهـ عـلـىـ اـنـفـسـكـ ، وـبـلـغـائـهـ إـلـىـ الـاـمـمـ ، زـعـيمـ حـقـ لـهـ فـيـكـ ، وـعـهـدـ قـدـمـهـ الـيـكـ ، وـبـقـيـةـ اـسـتـخـلـفـهـاـ عـلـيـكـمـ : كـتـابـ اللـهـ النـاطـقـ ، وـالـقـرـآنـ الـصـادـقـ ، وـالـنـورـ السـاطـعـ ، وـالـضـيـاءـ الـلـامـعـ ، بـيـنـةـ بـصـائـرـهـ ، مـنـكـشـفـةـ سـرـائـرـهـ ، مـنـجـلـيـةـ ظـواـهـرـهـ ، مـغـبـطـةـ بـهـ اـشـيـاعـهـ ، قـائـدـاـ إـلـىـ الرـضـوـانـ اـتـبـاعـهـ ، مـؤـدـ النـجـاـةـ اـسـتـمـاعـهـ ، بـهـ تـنـالـ حـجـجـ اللـهـ الـمـنـورـةـ ، وـعـزـائـمـهـ الـمـفـسـرـةـ ، وـمـحـارـمـهـ الـمـحـذـرـةـ ، وـبـيـنـاتـهـ الـجـالـيـةـ ، وـبـرـاهـيـنـهـ الـكـافـيـةـ ، وـفـضـائـلـهـ الـمـنـدـوـبـةـ ، وـرـخـصـهـ الـمـوـهـوـبـةـ ، وـشـرـائـعـهـ الـمـكـتـوـبـةـ .

فـجـعـلـ اللـهـ الـاـيـمـانـ : تـطـهـيـرـاـ لـكـمـ مـنـ الشـرـكـ ، وـالـصـلـاـةـ : تـنـزـيـهـاـ لـكـمـ عـنـ الـكـبـرـ ، وـالـزـكـاـةـ : تـرـكـيـةـ لـلـنـفـسـ ، وـنـمـاءـ فـيـ الرـزـقـ ، وـالـصـيـامـ : تـشـيـبـيـتـاـ لـلـاـخـلـاـصـ ، وـالـحـجـ : تـشـيـيـداـ لـلـدـيـنـ ، وـالـعـدـلـ : تـنـسـيـقاـ لـلـقـلـوـبـ ، وـطـاعـتـنـاـ : نـظـامـاـ لـلـمـلـةـ ، وـاـمـامـتـنـاـ : اـمـانـاـ لـلـفـرـقـةـ ، وـالـجـهـادـ : عـزـاـ لـلـاسـلـامـ ، وـالـصـبـرـ : مـعـونـةـ عـلـىـ اـسـتـيـجـابـ الـاـجـرـ ، وـالـاـمـرـ بـالـمـعـرـفـةـ : مـصـلـحـةـ ، وـبـرـ الـوـالـدـيـنـ : وـقـاـيـةـ مـنـ السـخـطـ ، وـصـلـةـ الـاـرـحـامـ : مـنـسـاهـ [أيـ مـؤـخـرـةـ] فـيـ الـعـمـرـ وـمـنـمـاءـ لـلـعـدـدـ ، وـالـقـصـاصـ : حـقـنـاـ لـلـدـمـاءـ ، وـالـوـفـاءـ بـالـنـذـرـ : تـعـرـيـضاـ لـلـمـغـفـرـةـ ، وـتـوـفـيـةـ الـمـكـائـيلـ وـالـمـواـزـيـنـ : تـغـيـيـرـاـ لـلـبـخـسـ ، وـالـنـهـيـ عنـ شـرـبـ الـخـمـرـ : تـنـزـيـهـاـ عـنـ الـرـجـسـ ، وـاجـتـنـابـ الـقـذـفـ : حـجـابـاـ عـنـ الـلـعـنـةـ ، وـتـرـكـ الـسـرـقـةـ : اـيـجـابـ بـالـعـفـةـ ، وـحـرـمـ اللـهـ الـشـرـكـ : اـخـلـاـصـاـ لـهـ بـالـرـبـوبـيـةـ ، فـاتـقـواـ اللـهـ حـقـ تـقـاتـهـ ، وـلـاـ تـمـوـتـنـ الاـ وـأـنـتـمـ مـسـلـمـونـ ، وـاـطـيـعـوـ اللـهـ فـيـمـاـ أـمـرـكـمـ بـهـ وـنـهـاـكـمـ عـنـهـ ، فـاـنـهـ اـنـمـاـ يـخـشـيـ اللـهـ مـنـ عـبـادـهـ الـعـلـمـاءـ) .

ثم قـالـتـ : (أـيـهـاـ النـاسـ اـعـلـمـواـ ، اـنـيـ فـاطـمـةـ وـأـبـيـ مـحـمـدـ (صلى الله عليه وآلـهـ) اـقـولـ عـودـاـ وـبـدـواـ ، وـلـاـ اـقـولـ مـاـ اـقـولـ غـلـظـاـ ، وـلـاـ اـفـعـلـ مـاـ اـفـعـلـ شـطـطاـ [الشـطـطـ : هـوـ الـبـعـدـ عـنـ الـحـقـ وـمـجاـوـزـةـ الـحـدـ فـيـ كـلـ شـيـءـ] لـقـدـ جـاؤـكـمـ رـسـولـ مـنـ اـنـفـسـكـ عـزـيـزـ عـلـيـهـ مـاـ عـنـتـمـ [عـنـتـمـ : اـنـكـرـتـمـ وـجـحدـتـمـ] حـرـيـصـ عـلـيـكـمـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ رـوـفـ رـحـيمـ .

فـاـنـ تـعـزـوـهـ وـتـعـرـفـوـهـ : تـجـدـوـهـ أـبـيـ دـوـنـ نـسـائـكـمـ ، وـاـخـاـ اـبـنـ عـمـيـ دـوـنـ رـجـالـكـمـ ، وـلـنـعـمـ الـمـعـزـىـ الـيـهـ (صلى الله عليه وآلـهـ) ، فـبـلـغـ الرـسـالـةـ ، صـادـعـاـ [الصـدـعـ هـوـ الـاـظـهـارـ] بـالـنـذـارـ : وـهـوـ الـاـعـلـامـ عـلـىـ وـجـهـ التـخـوـيـفـ] مـائـلاـ عـنـ مـدـرـجـةـ [هـيـ الـمـذـهـبـ وـالـمـسـلـكـ] الـمـشـرـكـيـنـ ، ضـارـبـاـ ثـبـجـهـمـ [التـبـجـ : وـسـطـ الشـيـءـ وـمـعـظـمـهـ] آـخـذـاـ بـاـكـظـامـهـمـ] الـكـظـمـ : مـخـرـجـ النـفـسـ مـنـ الـحـلـقـ] دـاعـيـاـ إـلـىـ سـبـيلـ رـبـهـ بـالـحـكـمـ وـالـمـوـعـظـةـ الـحـسـنـةـ ، يـجـفـ الـاـصـنـامـ] فـيـ بـعـضـ النـسـخـ (يـكـسـرـ الـاـصـنـامـ) وـفـيـ بـعـضـهـاـ (يـجـذـ) أـيـ يـكـسـرـ] وـيـنـكـثـ الـهـاـمـ ، حـتـىـ اـنـهـزـمـ الـجـمـعـ وـوـلـوـ الـدـبـرـ ، حـتـىـ تـفـرـىـ الـلـلـيـلـ عـنـ صـبـحـهـ [أـيـ اـنـشـقـ حـتـىـ ظـهـرـ وـجـهـ الصـبـاحـ] وـاـسـفـرـ الـحـقـ عـنـ مـحـضـهـ ، وـنـطـقـ زـعـيمـ الـدـيـنـ ، وـخـرـسـتـ شـقـاشـقـ الـشـيـاطـيـنـ [الشـقـاشـقـ : شـيـءـ كـالـرـبـةـ يـخـرـجـهـاـ الـبـعـيرـ مـنـ فـيـهـ اـذـاـ هـاجـ] وـطـاحـ [أـيـ هـلـكـ] وـشـطـ [الـوـشـيـظـ : السـفـلـةـ وـالـرـذـلـ مـنـ النـاسـ] النـفـاقـ ، وـاـنـحـلـتـ عـقـدـ الـكـفـرـ وـالـشـقـاقـ ، وـفـهـمـ بـكـلـمـةـ الـاـخـلـاـصـ

[أي كلمة التوحيد] في نفر من البيض الخماص [المراد بهم اهل البيت عليهم السلام] وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب [أي شربته] ونُهْزَة [أي الفرصة] الطامع ، وقبضة العجلان [مثُل في الاستعجال] وموطئ الاقدام [مثُل مشهور في المغلوبية والمذلة] تشربون الطُّرق [ماء السماء الذي تبول به الابل وتبعر] وتقناتون القدَّ [سيِّر بقد من جلد غير مدبوغ] اذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فانقذكم الله تبارك وتعالى بِمُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني بهم الرجال [أي شجعائهم] وذؤبان العرب ، ومردة اهل الكتاب ، كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ، ان نجم [أي ظهر] قری الشیطان [أي امته وتابعوه] او فغرت فاغرة من المشركين [أي الطائفة منهم] قذف أخاه في لهوّاتها [اللهوّات وهي اللحمة في اقصى شفة الفم] فلا ينکفیء [أي يرجع] حتى يطأ جناحها باخمه [الاخْمَص مالا يصيّب الارض من باطن القدم] ويُخْمَد لهبها بسيفه ، مكدودا في ذات الله ، مجتهدا في أمر الله ، قريبا من رسول الله ، سيدا في أولياء الله ، مشمرا ناصحا ، م جدا ، كادحا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وانتم في رفاهية من العيش ، وادعون [أي ساکنون] فاكهون [أي ناعمون] آمنون ، تتربيون بنا الدوائر [أي صروف الزمان] أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا] وتتوکفون الاخبار [أي تتوقعون اخبار المصائب والفتنة النازلة بنا] وتنكصون عند النزال ، وتفرتون من القتال ، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، ومؤوى اصفيائه ، ظهر فيكم حسكة النفاق [في بعض النسخ (حسكية) وحسكة النفاق عداوته] وسمل [أي صار خلقا] جلباب الدين [الجلباب الازار] ونطق الغاوين ، ونبغ خامل [أي من خفى ذكره وكان ساقطا لانباهة له] الاقلين ، وهدر [الهدير] : تردید البعير صوته في حنجرته] فنيق [الفحل المكرم من الابل الذي لا يركب ولا يهان] المبطلين ، فخطر [خطر البعير بذنبه اذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه] في عرصاتكم ، واطلع الشیطان رأسه من مغرزه [أي ما يخفى فيه تشبيها له بالقندف فانه يطلع رأسه بعد زوال الخوف] هاتفا بكم [أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه] فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزّة فيه ملاحظين .

ثم استنهضكم فوجدكم خفافا ، واحشتم فألفا غضابا فوسمتم [الوسم اثر الکي] غير ابلکم ووردتكم [الورود] : حضور الماء للشرب [غير مشربکم] ، هذا والعهد قریب والکلم [أي الجرح] رُحیب [أي السعة] والجرح لما يندمل [أي لم يصلح بعد] والرسول لما يقبر ، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا ، وان جهنم لمحيطة بالكافرين ، فهیهات منکم ، وكيف بکم ، وانی تؤفکون ، وكتاب الله بين اظهركم ، اموره ظاهرة ، واحکامه زاهرة ، واعلامه باهرة ، وزواجره لایحة ، وأوامرها واضحة ، وقد خلقتهم وراء ظهورکم ، أرغبة عنه تریدون ؟ ام بغيره تحکمون ؟ بئس للظالمين بدلًا ، ومن يبتغ غير الاسلام دینا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين .

ثم لم تلبثوا الا ریث أن تسکن نفترتها [نفترت الدابة جزعت وتباعدت] ویسلس [أي یسهل] قیادها ، ثم اخذتم تورون وقدتها [أي لھبها] وتهیجون جمرتها ، وتستجیبون لهتاف الشیطان الغوی ، واطفاء انوار الدين الجلي ، واهماں سنن النبي الصفي ، تشربون حسوا [الحسو] : هو الشرب شيئا فشيئا [في ارتقاء] : هو شرب الرغوة وهي اللبن المشوب بالماء وحسوا في ارتقاء : مثل یضرب لمن يظهر ویرید غيره] وتمشون لاهله وولده في الخمر [الخمر] : ماواراك من شجر وغیره] والصراء [أي الشجر الملتف بالوادي] ويصیر منکم على مثل حز [أي القطع] المدى ، ووخر السنان في الحشاء ، وانتم الان تزعمون : أن لا إرث لنا ، افحکم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حکما لقوم یوقنون ؟ ! أفلأ تعلمون ؟ بلی قد تجلی لكم كالشمس الضاحية : أني ابنته .

ايهما المسلمين أغلب على ارثي ؟ يابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريا ! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ اذ يقول : (وورث سليمان داود) [النمل : ١٦] وقال فيما اقتضى من خبر يحيى بن زكريا اذ قال : (فهب لي من لدنك ولها يرثني ويرث من آل يعقوب) [مريم : ٦] وقال : (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) [الانفال : ٧٥] وقال : (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) [النساء : ١١] وقال : (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقريين بالمعروف حقاً على المتقين) [البقرة : ١٨٥] وزعمتم : ان لا حظوة [أي المكانة] لي ولا ارث من أبي ، ولا رحم بیننا ، افخوصكم الله بآية اخرج أبي منها ؟ ام هل تقولون : أن اهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست انا وأبي من اهل ملة واحدة ؟ أم انتم أعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي ؟ فدونكها مخطوطة [من الخطام وهو : كل ما يدخل في انف البعير ليقاد به] مرحولة [الرجل : هو للناقة كالسراج للفرس] تلقاء يوم حشرك ، فنعم الحكم والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم اذ تندمون ، وكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) .

ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت : (يامعشر النقيبة [أي الفتية] واعضاد الملة وحضنة الاسلام ، ما هذه العمizza [أي ضعفة في العمل] في حقي والبِسْنَة [النوم الخفيف] عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ) أبي يقول : (المرء يحفظ في ولده) ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة [أي الدسم] ولكم طاقة بما احـاـولـ ، وقوـةـ عـلـىـ ما اـطـلـبـ وـأـزـاـولـ ، أـتـقـولـنـ مـاتـ مـحـمـدـ (صلى الله عليه وآلـهـ) ؟ فخطب جليل ، استوسع وهـنـهـ الـوـهـنـ : الـخـرـقـ [أي اتسع] فـتـقـهـ وـانـفـتـقـ رـتـقـهـ ، وـاـظـلـمـتـ الـاـرـضـ لـغـيـبـتـهـ ، وـكـسـفـ السـشـمـسـ وـالـقـمـرـ ، وـاـنـتـرـتـ النـجـومـ لـمـصـبـيـتـهـ ، وـاـكـدـتـ [أي قـلـ خـيـرـهـ] الـآـمـالـ ، وـخـشـعـتـ الـجـبـالـ ، وـأـضـيـعـ الـحـرـيمـ ، وـأـزـيـلـتـ الـحـرـمـةـ عـنـدـ مـمـاـتـهـ ، فـتـلـكـ وـالـلـهـ النـازـلـةـ الـكـبـرـىـ ، وـالـمـصـبـيـةـ الـعـظـمـىـ ، لـاـ مـثـلـهـ نـازـلـةـ ، وـلـاـ بـائـقـةـ [أي دـاهـيـةـ] عـاجـلـةـ ، اـعـلـنـ بـهـ كـتـابـ اللهـ جـلـ ثـنـاؤـهـ ، فـيـ اـفـنـيـتـكـمـ ، وـفـيـ مـمـسـاـكـمـ ، وـمـصـبـحـكـمـ ، يـهـتـفـ فـيـ اـفـنـيـتـكـمـ هـنـافـ ، وـصـرـاخـاـ ، وـتـلـاـوـةـ ، وـالـحـانـاـ ، وـلـقـبـلـهـ ماـ حـلـ بـأـنـبـيـاءـ اللهـ وـرـسـلـهـ ، حـكـمـ فـصـلـ ، وـقـضـاءـ حـتـمـ : (وـمـاـ مـحـمـدـ الـاـرـسـلـوـنـ قـدـ خـلـتـ مـنـ قـبـلـ الرـسـلـ أـفـانـ مـاتـ أـوـ قـتـلـ اـنـقـلـبـتـمـ عـلـىـ اـعـقـابـكـمـ وـمـنـ يـنـقـلـبـ عـلـىـ عـقـبـيـهـ فـلـنـ يـضـرـ اللهـ شـيـئـاـ وـسـيـجـزـيـ اللهـ الشـاكـرـيـنـ) [آـلـ عـمـرـانـ : ١٤٤] .

(أـيـّـهـ بـنـيـ قـيـلـةـ [قـبـيلـةـ الـانـصـارـ : الـاـوـسـ وـالـخـرـجـ] أـهـضـمـ تـرـاثـ أـبـيـ ؟ وـاـنـتـ بـمـرـئـ مـنـيـ وـمـسـمـعـ ، وـمـنـتـدـىـ [أيـّـهـ بـنـيـ قـيـلـةـ] وـمـجـمـعـ ، تـلـبـسـكـمـ الدـعـوـةـ ، وـتـشـلـمـكـمـ الـخـبـرـةـ ، وـاـنـتـ ذـوـوـ الـعـدـ وـالـعـدـةـ ، وـالـلـادـاـ وـالـقـوـةـ ، وـعـنـدـكـمـ السـلاحـ وـالـجـنـةـ [ماـ اـسـتـنـتـرـتـ بـهـ مـنـ السـلاحـ] تـوـافـيـكـمـ الدـعـوـةـ فـلـاـ تـجـيـبـوـنـ ، وـتـأـتـيـكـمـ الـصـرـخـةـ فـلـاـ تـغـيـثـيـوـنـ ، وـاـنـتـ مـوـصـفـوـنـ بـالـكـفـاحـ ، مـعـرـوفـوـنـ بـالـخـيـرـ وـالـصـلـاحـ ، وـالـنـخـبـةـ الـتـيـ اـنـتـخـبـتـ ، وـالـخـيـرـةـ الـتـيـ اـخـتـيـرـتـ لـنـاـ اـهـلـ الـبـيـتـ ، قـاتـلـتـمـ الـعـرـبـ ، وـتـحـمـلـتـ الـكـدـ وـالـتـعـبـ ، وـنـاطـحـتـمـ الـاـمـمـ ، وـكـافـحـتـمـ الـبـهـمـ ، لـاـ نـبـرـحـ [أيـّـ لـاـ نـزـالـ] اوـ تـبـرـحـوـنـ ، نـأـمـرـكـمـ فـتـأـتـمـرـوـنـ ، حـتـىـ اـذـ دـارـتـ بـنـاـ رـحـيـ الـاسـلـامـ ، وـدـرـ حـلـ الـاـيـامـ ، وـخـضـعـتـ ثـغـرـةـ الشـرـكـ ، وـسـكـنـتـ فـوـرـةـ الـافـكـ ، وـخـمـدـتـ نـيـرانـ الـكـفـرـ ، وـهـدـأـتـ دـعـوـةـ الـهـرـجـ ، وـاـسـتـوـسـقـ [أيـّـ اـجـتـمـعـ] نـظـامـ الـدـيـنـ ، فـأـنـيـ حـزـمـ بـعـدـ الـبـيـانـ ؟ وـاـسـرـتـمـ بـعـدـ الـاعـلـانـ ؟ وـنـكـصـتـمـ بـعـدـ الـاـقـدـامـ ؟ وـاـشـرـكـتـمـ بـعـدـ الـاـيـمـانـ ؟ بـؤـسـاـ لـقـوـمـ نـكـثـوـاـ اـيـمـانـهـمـ مـنـ بـعـدـ عـهـدـهـمـ ، وـهـمـوـاـ بـاـخـرـاجـ الرـسـولـ ، وـهـمـ بـدـؤـكـمـ اـوـلـ مـرـةـ ، اـتـخـشـوـنـهـمـ فـالـلـهـ اـحـقـ اـنـ تـخـشـوـهـ اـنـ كـنـتـمـ مـؤـمـنـيـنـ .

أـلـاـ وـقـدـ أـرـىـ أـنـ قـدـ اـخـلـدـتـمـ [أيـّـ مـلـتـمـ] إـلـىـ الـخـفـضـ [أيـّـ السـعـةـ وـالـخـصـبـ وـالـلـيـنـ] وـاـبـعـدـتـمـ مـنـ هـوـ اـحـقـ بـالـبـسـطـ

والقبض ، وخلوتكم بالدعة [الدعة : الراحة والسكون] ونجوتم بالضيق من السعة ، فمج�تم ماوعيتم ، ودسغتم [الدسغ : الفيء] الذي تسوغتم [تسوغ الشراب شربه بسهولة] فان تكروا انتم ومن في الارض جميا ، فان الله لغني حميد .

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة [الجذلة : ترك النصر] التي خامرتم [أي خالطتكم] والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخور [أي الضعف] القناة [أي الرمح ، والمراد من ضعف القناة هنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة] وبثة الصدر ، وتقىدة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها [أي احملوها على ظهوركم ودبر البعير اصابته الدَّبَّرَة وهي جراحة تحدث من الرحيل] دبرة الظهر ، نقبة [نقب خف البعير رق وتنقب] الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الابد ، موصولة بنار الله الموقدة ، التي تطلع على الافئدة ، فبعين الله ما تفعلون ، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون ، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعلموا أنا عاملون ، وانتظر أنا منتظرون) .

فاجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال : يا بنت رسول الله ، لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيمًا ، وعلى الكافرين عذاباً عظيماً ، وعقاباً عظيماً ، ان عزوناه وجدناه اباك دون النساء ، واخاً للفك دون الاخلاط [الالف : هو الاليف بمعنى المألف والمراد به هنا الزوج لانه إلف الزوجة ، وفي بعض النسخ : ابن عمك] آثر على كل حميم ، وساعدته في كل امر جسيم ، لا يحبكم الا سعيد ، ولا يبغضكم الا شقي بعيد ، فأنتم عترة رسول الله ، والطيبون الخيرة المنتجبون ، على الخير ادلتنا ، إلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وأبنة خير الانبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حرقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ماعدتو رأي رسول الله ، ولا عملت الا بإذنه ، والرائد لا يكذب أهله ، واني اشهد الله وكفى به شهيدا ، أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : (نحن معاشر الانبياء ، لا نورث ذهبا ولا فضة ، ولا دارا ولا عقار ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة ، وما كان لنا من طعمة ، فلولي الامر بعدها ، ان يحكم فيه بحكمه) وقد جعلنا ماحولته في الكراع والسلح ، يقاتل بها المسلمين ويجهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك باجماع من المسلمين ، لم انفرد به وحدي ، ولم استبد بما كان الرأي عندي ، وهذه حالي ومالي ، هي لك وبين يديك ، لاتزوي عنك ، ولا ندخر دونك ، وانك وانت سيدة امة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا ندفع مالك من فضلك ، ولا يوضع في فرعك واصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين ان اخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله) ؟

فقالت (عليها السلام) : (سبحان الله ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادقاً [أي معرفاً] ولا لاحكامه مخالفًا ! بل كان يتبع اثره ، ويقفوا سورة ، أفتجمعون إلى الغدر اعتللاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغواي [أي المهالك] في حياته ، هذا كتاب الله حكمًا عدلاً ، وناطقاً فصلاً ، يقول : (يرثني ويرث من آل يعقوب) [مريم : ٦] ويقول : (وورث سليمان داود) [النمل : ١٦] وبين عزوجل فيما وزع من الاقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، واباح من حظ الذكران والاناث ، ما ازاح به علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا بل سولت لكم انفسكم أمراً ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون) .

فقال ابو بكر : صدق الله رسوله ، وصدقت ابنته ، أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا ابعد صوابك ، ولا انكر خطابك ، هؤلاء المسلمين بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدت ، وباتفاق منهم

أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت : (معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل [في بعض النسخ : قبول الباطل] المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، افلا تتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟ كلا بل ران على قلوبكم ما اسأتم من اعمالكم ، فأخذ بسمعكم وابصاركم ، ولبيس ما تأولتم ، وسأء ما به أشرتم ، وشر ما منه اغتصبتم ، لتجدن والله محملا ثقيلا ، وغبه وبيلا ، اذا كشف لكم الغطاء ، وبان باورائه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون ، وخسر هنالك المبطلون) .

ثم عطفت على قبر النبي (صلي الله عليه وآلـه) وقالت :

قد كان بعدك انباء وهنبية ** لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها *** واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل اهل له قربى ومنزلة ** عند الاله على الادنين مقترب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم ** لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رحال واستخف بنا ** لما فقدت وكل الارض مغتصب
وكنت بدوا ونورا يستضاء به ** عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ** فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ** لما مضيت وحالت دونك الكثب

ثم انكفت (عليها السلام) ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها اليه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت : لأمير المؤمنين (عليه السلام) : (يابن أبي طالب ، اشتتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة [قوادم الطير : مقادم ريشه وهي عشرة] الاجدل [أي الصقر] فخانك ريش الاعزل [العزل من الطير : ما لا يقدر على الطيران] هذا ابن ابي قحافة بيتنزي [أي يسلبني] نحلة أبي وبغلة [البغلة ما يتبلغ به من العيش] ابني ! لقد اجهد [في بعض النسخ : اجهز] في خصامي ، والفيته [أي وجدته] الد [الالد : شديد الخصومة] في كلامي ، حتى حبسوني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها ، وغضبت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة ، وعدت راغمة ، اضرعت [ضرع : خضع وذل] خدك يوم اضعت حدك إفترست الذئاب ، وافتشرت التراب ، ما كففت قائلا ، ولا اغنيت طائلا [أي ما فعلت شيئا نافعا ، وفي بعض النسخ : ولا اغيت باطلا : أي كففته] ولا خيار لي ، ليتنني مت قبل هنئتي ، ودون ذاتي عذيري [العذير بمعنى العاذر أي : الله قابل عذري] الله منه عاديا [أي متتجاوزا] ومنك حاميها ، ويلاي في كل شارق ! ويلاي في كل غارب ! مات العمد ، ووهن [الوهن : الضعف في العمل او الامر او البدن] العضد ، شكواي إلى أبي ! وعدواي [العدوى : طلبك إلى والـ لينتقم لك من عدوك] إلى ربي ! اللهم انك اشد منهم قوة وحولا ، واسد بأسا وتنكيلا) .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لا ويل لك بل الويل لشائقك [الشانيء : المبغض] ثم نهني عن وجدهك [أي كفي عن حزنك وخففي من غضبك] يا بنة الصفوة ، وبقية النبوة ، فما ونيت [أي ما كللت ولا ضعفت ولا عييت] عن ديني ، ولا اخطأت مقدوري [أي ما تركت ما دخل تحت قدرتي أي لست قادرا على الانتصاف لك لما اوصاني به الرسول] فان كنت تريدين البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما اعد لك اضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله) .

فقالت : (حسبي الله) ، وامسكت .